

صبر الصبار.. توثيق بصري لحياة عربية موجعة

نبته شرق أوسطية تحيلها الأعمال الفنية إلى رمز للثبات والصمود



أحمد ياسين يرسم مآسي الشعب الفلسطيني مباشرة على الصبار



صعوبة المشي في طريق الحرية (عمل تجهيزي لمحمد الحواجري)

دعوة الفلسطيني إلى الثبات والصبر المضاعف. اليوم أكثر من أي وقت مضى عثرت حقا في أعمال فنانين شرق أوسطيين كثر على نباتات الصبار البيروتي الذي استقبلني وأنا صغيرة بغرابة صمته الناطق بلغة خاصة، وبغموضه الملقق، وبأزهاره المفجرة لونيا من بين الأنسوك، وبضخامته الملتوية صعورا نحو السماء وبمخزونه الجوفي في غمرة طقس صيفي حار لا يحمل أية نسمة تلتف من حدته.

وجاءت الأعمال عبر السنين من التشكيل المباشر إلى الأعمال النحتية والسريرية والتجهيزية. ونذكر من الأعمال المعاصرة جدا والتجهيزية ما قدمه الفنان الفلسطيني محمد الحواجري عبر عمله الذي جسّد فيه قديمين تتعلعان خفا من الصبار للإشارة إلى مشقة السير قدما وليس إلى انعدامه بسبب المشقة. ونذكر أيضا الفنانة رنا بشارة التي قدّمت عملا تجهيزيا قوامه قطع من الصبار المخمل في وعاء شفاف في إطار

وأنكر أيضا التشكيلية المصرية سعاد عبدالرسول التي تبدو الوان النسوة في لوحاتها، ولأسيما سحتنهن، مائلة إلى الأخضر الغامق المظلم باللون الأصفر وبذلك صارت شبيهة بنبات الصبار حتى في اللوحات، حيث لا تحضر فيها نبتة الصبار مباشرة.

وغير هؤلاء الفنانين الكثر، وذلك بغض النظر عن اختلاف قيمة أعمالهم الفنية.

هؤلاء لم يحسدوا في أعمالهم المتعددة الوسائط والأساليب الصبار كنبات تزييني، حتى أن الفنان محمد أبو السسل الذي تفتن في نقل الوان وأشكال الصبار فعل ذلك احتفالا به وبما يعنيه لشعب فلسطين خاصة.

وحق بعض الفنانين الذين جسّدوا الصبار في لوحاتهم بالحد الأدنى من الرمزية، مثل الفنان راشد بحصلي والفنان جميل ملاعب، ظهر في لوحاتهم الصبار كدهشة وسط مشهد رتيب.

معظم الأعمال الأخرى مُمسلة بأفكار وأجواء تحيل المشاهد إلى فعوى العيش في بلدان عرفت ولا تزال تعرف أهوالا متعاقبة. غير أن الفنان الفلسطيني ونظيره الأردني هما الأكثر تعبيرا وإعلاء لشان الصبار بأشواكه وأزهاره وقدرته على تحمل العطش والظروف البيئية الصعبة والإهمال.

القرن التاسع عشر وبعضهم الآخر تعود أعمالهم إلى "الآن"، إذا صح التعبير، وشارك بصورها الفنانون حديثا على صفحاتهم الفيسبوكية.

رمزية موحشة

من الفنانين الرواد أنكر الفنان اللبناني عمر أنسي الذي عرفني على أعماله والتي، والذي أكسب "صبار" شفافية حاذقة استطاع الفنان أن ينجزها بالوانه المائية.

يذكر أن منزله في تلة الخياط هُدم بدلا من أن يتحول إلى متحف، كما سويت التلة بالأرض ما عدا بعض الهضاب التي تقف على أطلال بعضها البعض في بلد ينتزع أزهاره بيده وكانها أشواك. وأنكر من الفنانين المعاصرين متعددي الوسائط الفنية الفنان الفلسطيني المخضرم نبيل عناني الذي يعد سفيرا من سفراء فلسطين في العالم، والفنان الفلسطيني محمد الحواجري، والفنانة الأردنية نوال عبدالرحيم التي استطاعت أن تنفذ إلى ملاصق الصبار الداخلي، والفنان اللبناني راشد بحصلي الذي أكسب صبار "سحنة" فضية، رغم أنه لم يستعمل بشكل مباشر هذا اللون في لوحاته المائية.

كما أنكر هنا الفنان جميل ملاعب الذي له علاقة حميمة بالأرض، والتشكيلية الأردنية جمان النصري ولوحاتها ذات الأجواء الصيفية وإن كانت أرات من بعضها أن تعبر عن فكرة كئيبة، والفنان الفلسطيني أحمد محمد كامل ياسين الذي رسم وجوه ومآسي الشعب الفلسطيني مباشرة على نبات الصبار. ولعل عدم استخدامه أي لون فوق لون الصبار الطبيعي أهم ما يميز أعماله.

فقد أتحدت شخصوه ومشاهده مع الصبار واستطاع أن يوظف المواضيع البائسة من نبات الصبار أو التي لوها غامق جدا ليظلل شخصوه ومشاهده بانها فيها الحياة.

تنبت نبتة الصبار بكثرة في لبنان وسوريا وفلسطين والأردن. وليست كثرة وجودها هي السبب في ارتقاها إلى مكانة الرمز تارة وإلى ظاهرة مرادفة للمكان والزمان والإنسان في الفنون التشكيلية تارة أخرى. فلقد ساهمت أعمال الكثير من الفنانين في الشرق الأوسط في تكريس مكانة هذه النبتة، فلا فنائها يعتبر هينا ولا حياتها رهينة حياة الآخرين.

أذهب إلى هناك؟، أجاب "نعم، ولكن لا تتعدى كثيرا".

ما إن وصلت إلى قلب المكان حتى وجدت نفسي أسير ببطء وكان لا أريد إزعاجها، ليس خوفا عليها بل خوفا منها. خوف يشوبه إعجاب كبير، إعجاب أمام ضخامتها ورؤوسها الشائكة وجذوعها القوية وبعض فروعها الملتوية غير المنتظمة. بعضها كان ينمو مباشرة من الأرض وكأنه من دون جذوع، وكأنه بالونات أو مناطيد لا تجهض أشواكها انطلاقها وحيويتها بل على العكس.

بعضها كان يحمل أزهارا بلون أصفر متفجر. أزهار واضحة جدا ومظلة على وأنا أسير متيقظة إلى حدود المسافة التي لا يجب علي أن أتخطاها.

كان الصمت عميقا جدا في هذا الحقل الذي يربط بشكل غرائبي شوارعنا بأخر ماهول بالسكان وبالمنازل التي لا يتعدى علوها الأربعة طوابق.

وهذا الصمت ليس انعدام للصوت بقدر ما هو اللغة التي تتكلم بها هذه النباتات مع بعضها البعض. ووجدتني أنقل نظري من نبتة "عملاقة" إلى أخرى في محاولة لك شفيرة ما يقولون عني وعن حضوري على غفلة.

عندما عدت إلى أهلي أخبرت والدتي بالأمر. يومها ضحكت وقالت لي "بيروت كانت كلها مليئة بنباتات الصبار والتراب الأحمر. غدا نذهب إلى التلة (وهي تلة خضراء قرب بيتنا) وأريك نبات الصبار المحيط ببيت الفنان عمر أنسي".

هكذا تعرّفت على هذه النبتة الغريبة جدا وما زلت أتعرف عليها وأتأمل خصائصها الجلية في لوحات فنانين تشكيليين. البعض من هؤلاء الفنانين تعود أعمالهم إلى منتصف

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية



أذكر أنني في أوائل الثمانينات من القرن الماضي زرت بمعينة أهلي أحد أصدقائنا في منطقة الأشرافية في بيروت. جلسنا يوما في باحة البيت الكائن في الطابق الأول، حيث أرجوحة واسعة انتقلت إليها من الكرسي المجاور لهم لاتأرجح في غمرة طقس صيفي حار لا يحمل أية نسمة تلتف حدته.



عمل تجهيزي لرنا بشارة
قوامه قطع من الصبار المخمل في وعاء شفاف، تدعو عبره الفلسطيني إلى الصبر والثبات

خلال تاريخي رأيت مساحة غريبة جدا (على الأقل بالنسبة إلى حينها) تكلمها نباتات متوسطة الطول وأخرى عالية وعريضة. وقتها لم أكن قد رأيت الصبار سابقا إلا في أوعية صغيرة جدا، وغالبا ما كانت توضع فيها أزهار اصطناعية من قش ناعم وملون.

إعجاب وتعجب

توجّهت إلى والدي وسألته "ما هذا الذي هناك، نظر على بعد عدة أمتار من هنا؟"، نظر إلى بعيد، وأجابني "ولو؟ هذا نوع من نبات الصبار". فسألته "هل تستطيع أن

المصرية ياسمين المليجي تنشئ من الترميم سرديات مفاهيمية

ويمنح المورد الثقافي "جوائز الإنتاج" في السينما والمسرح والفنون البصرية والأدب والموسيقى، بالإضافة إلى منح السفر الفريدة.



ياسمين المليجي

أدخل الذاكرة والإصلاح في أعمالها، فيما أنتقل بين المجالين العام والخاص

كما يدعم مديري المنظمات الثقافية من خلال البرنامج العربي - الأوروبي "تأندم شمل" ومن خلال برنامج "إمكان"، علاوة على الدعم التنظيمي لتعزيز القدرات المؤسسية والتقنية للمنظمات الثقافية المحلية من خلال برنامج "عبارة".

ويتيح أيضا التعاون في جميع أنحاء العالم العربي عبر تعزيز والمطالبة بتنفيذ السياسات الثقافية وجلب الثقافة والفنون الوثيقة للجمهور العام وتنميتها من خلال عدد من المهرجانات العبادية، بالإضافة إلى المكونات الأخرى مثل برنامج الماجستير في السياسات الثقافية والإدارة الثقافية.

وتمكن المورد الثقافي في العام 2020 من تقديم اثنتين وأربعين منحة استثنائية لفنانيه بهدف الحفاظ على الحياة الفنية والإبداعية خلال فترة الجائحة والفترة التي تلتها، موفرا فرصا للفنانين من المنطقة العربية تحثهم على تصور وتطوير مقاربات جديدة للعمل الإبداعي الفردي والجماعي.

الاستثنائية إلى الزخارف التاريخية وعلم المتاحف والأنثروبولوجيا الطبية كادوات قوية لمقاربة التاريخ.

وخالد حوراني الذي سيجاور الفنانة الشابة في لقاء الأربعاء هو فنان فلسطيني يعيش ويعمل في رام الله، شارك في تأسيس الأكاديمية الدولية للفنون في فلسطين وشغل منصب مديرها الفني بين عامي 2007 و2010، ومديرها العام بين سنتي 2010 و2013. كما سبق وشغل منصب المدير العام لقسم الفنون الجميلة في وزارة الثقافة الفلسطينية بين عامي 2004 و2006. والمورد الثقافي مؤسسة ثقافية غير حكومية وغير ربحية تأسست في العام 2004 في لبنان، وهي تسعى لدعم الإبداع الفني العربي وتشجيع التبادل الثقافي بين المثقفين والفنانين في المنطقة العربية وخارجها.

وينبع عمل المورد الثقافي من تقديره العميق للقيمة المتجددة للتراث الثقافي العربي، وإبراز تنوعه العرقي والديني واللغوي، ومن الإيمان بأهمية توليد روح عربية جديدة من الإبداع كمفتاح لتحرير الخيال والتقدم المحفز على الابتكار. وتعتقد ثقافة المورد التي تعمل إقليميا في جميع أنحاء العالم العربي بأن النشاط الفني والأدبي ضرورة اجتماعية تتطلب الدعم المعنوي والمادي من جانب كل القوى الفاعلة في المجتمعات العربية.

والخاص. اتوسّع في سياقات عدّة بما في ذلك تاريخ الهندسة المعمارية والبنية التحتية ودورة التجديد والإصلاح وذلك باستعمال الحياة المنزلية كمحور أساسي في أعمالها.

وهي من خلال الجسّمات أو المنحوتات المتاحة في ممارساتها الفنية القائمة على الأبحاث، تنشئ تجهيزات فنية وأنشطة تشاركية لإنتاج مثل مضاد للسرد والتاريخ في سياقات موقعية.

وتضيف "صفتي فنانة أعمل بالوسائط متعددة التخصصات وأعيش في القاهرة، أبحث دائما عن الجسّمات السياسية والأثرية ذات القوة المتأصلة فيها. واستعمل الجسّمات من أجل تطوير الجمالية التي تكمن في المعنى والقدرة التحويلية الخارجة عن عصرنا".

وفي العام 2019 عرضت المليجي للمرة الأولى مشروعها متعدد المراحل "متحف الصيدلة المصري" الذي يرصد التركيب الحالي لمستشفى قلاوون للعيون بمصر، إضافة إلى تاريخ التطور العلمي للطب وصناعة الأدوية من خلال دمج الروابط بين تاريخ طب العيون الإسلامي في مصر والآثار والمحتويات الصيدلانية الغربية.

أما في عملية التكرار الثانية، فتطرقت المليجي من خلال منح المورد الثقافي

وسائط متعددة من بينها النحت والفيديو والتجهيزات متعددة الوسائط.

بعد حصولها على بكالوريوس الفنون الجميلة في الرسم بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة عام 2013 درست الوسائط المتعددة في المدرسة العليا للفنون الجميلة في نيم فرنسا، وكانت جزءا من برنامج الدراسة "ماس" للفنون المعاصرة في الإسكندرية لعام 2016. وهي تتنقل عادة من الأشياء والأغراض لفهم السياقات الاجتماعية والسياسية، كما تهتم بالسرديات التي تنتجها المساحات الداخلية الحميمة.

وسبق لها أن شاركت في العديد من الفعاليات والمعارض الفنية في مصر والولايات المتحدة وإيطاليا والصين وفرنسا وكوريا وسويسرا والدنمارك وألمانيا والبحرين، كما حازت على عدد من الجوائز والمنح من مؤسسات ثقافية ناشطة في المنطقة العربية.

وأطلقت المليجي على آخر مشروعاتها عنوان "الترميم الدائم في المدينة القديمة"، وهو يركز على الدور الذي يلعبه مفهوم الترميم في إعادة تشكيل الذاكرة الفردية والجماعية، وتجديد البنى التحتية الحضرية للمدن. وهي في ذلك تحاول اكتشاف العلاقة بين مفهومي الترميم والإحياء، وكيفية تأثير الفكرتين على الأشخاص في حياتهم الشخصية والعام.

وعن أعمالها تقول الفنانة المصرية الشابة "تدخل الذاكرة والإصلاح في أعمالها فيما أنتقل بين المجالين العام

إلى مساعلة إمكانيات وتحديات الإنتاج الفني اليوم، بالاستعانة بخبرات أعضاء من الجمعية العمومية لديهم مساهمات في بناء أرضية للنقد الفني والثقافي في المنطقة العربية.

وتأتي هذه السلسلة أيضا في سياق مناقشة مشاريع الفنانين المستفيدين من برامج المورد والمقاربات الجديدة التي يتبنونها في عملهم، حيث تقوم بفتح النقاش حول الليات وتحديات البحث والتجريب الفني والتفاعل والتشارك بين الفنانين مع الجمهور والفنانين الآخرين.

وياسمين المليجي فنانة مصرية متعددة التخصصات تعمل من خلال



تجديد البنى التحتية للمساحات الداخلية